# غاريبالدي ...

قصة بقلم نديم خشفة

لم أشأ ان اتهور بكلمة امام القاضي . فاشتريت علبة دخان ، وجلست على المقعد في ردهة المحكمة ، أدخن هادىء الاعصاب . انتظر الجلسة . سيسألني « لماذا تطلب الطلاق ؟ » فأقول له « انظر في سجل خدمتي سيدي » . فاذا عرف اني مجاهد ، أبدأ في تنفيذ الخطة .

اعترف أن سلوكي لا يعجبني . وقد خسرت دق الضامة ، فقلبت الطاولة وكسرت كؤوس الشاي . دفعت لـ « سي بلهادي » ثمن الكؤوس ، لكنه ما يزال غاضبا مني في قرارة نفسه .

بعمري ما اخذت الضامة عن جد . فليست خسارة الدق هي سبب النزق الذي اعتراني . ولا اشكو من ضيق مالي . بل احوالي ميسورة . اقبض كل شهر راتبي ، دون أن افعل شيئا . كيف ؟ فعلنا الكثير ، وآن لنا أن نستريح بعد الحياة الهائلة التي عشناها . والدولة ادركت ذلك تماما ، فأنشأت وزارة خاصة بنا ، كتبت على بابها ، بالعربية والفرنسية :

« وزارة قدماء المجاهدين »

وهذا يعني اني اصبحت من القدماء .

جلسنا في المقهى نتحدث عن فلسطين ، فقال واحد :

ـ اخواننا في فلسطين ، شكلوا فرق المقاومة .

وقل اخر : ـ معناها .. مشوا في طريق التحرير .

وقال سي بلهادي ـ والله ثورتنا لا تكتمل الا بتحرير فلسطين .

ثم التفت فجأة ، وسألني :

ـ الن تشارك في ثورة فلسطين .. يا شيخ ؟

ـ ثورة واحدة تكفيني .

ـ ثورتنا ناقصة يا شيخ !

ـ ليكملها غيري .. هل تحسبني « غاريبالدي » ؟

ـ ومن هذا ايضا ؟!

ولم ينتظر لاحكي له عن غاريبالدي . واسرع يلبي طلبا .

قرأت في الجريدة مقالة عن غاريبالدي . ونشروا له صورة واضحة ، بلحية كبيرة ، وجبين عريض . وقالوا أنه حارب في ايطاليا وفرنسا والبرازيل . لا ريب ان دافعا قويا ، كان يدعوه للقتال في غير وطنه . قلت لسي بلهادي ، حين عاد :

ـ يا سيدي .. انا بلغت سن اليأس . والبركة في الجدد . كنت امزح . فأنا ما بلغت الاربعين . ولا اذكر اني اصبت بمرض الزمني الفراش . واحسبني ابقى معافى حتى الستين . وعندها يدركني مرض الزمان : الشيخوخة . امامي عشرون او خمس وعشرون سنة ، اقضيها في اكل « الكسكس » وشرب الشاي بالنعنع ، ولعب الضامة .

الايام لا تمر سريعة .

والحق أن الايام لا تمر سريعة ولا بطيئة . بل الانسان هو الذي يمر امامها . فان كان لاهيا عنها ، وجدها مثل لمعان البرق . وان جلس يتأملها خاليا ، وجدها مثل سحاب ثقيل .

احسب كم مضى علي ، منذ دخلت الجزائر !

دخلت اول بدء الثورة سنة ٥٤ . كنت في « بنزرت » اشتغل عتالا على الميناء . وبدأوا يجندون المتطوعين . وقد كرهت حياة التشرد التي اعيشها ، واردت أن اجعل لحياتي معنى .. فعبرت الحدود .

لم تكن الاسلحة وافرة . فكان عليك ان تنتزع سلاحا من العدو ، ثم تقوم بعمل فدائي ليقبلك الثوار بينهم . والشيء المضحك ـ في حينه لم يكن مضحكا .. طبعا ـ ان الطائرات تقصفنا ، فنحسب عدد القنابل . فاذا وجدنا ان قنبلة لم تنفجر ، اسرعنا اليها ، واحتلنا عليها حتى نفرغ منها البارود ، ونستعمله في نسف الجسور .

لقد وجدت في الثورة ما ابحث عنه . اليوم ينقضي مثل ساعة ، ولا تكاد الشمس تشرق حتى تغيب . ونحن مثل الشرارة .. من كمين الى كمين ، ومن معركة الى اخرى . لا نعرف كيف ناكل ومتى ننام . وأين ينتهي بنا الليل ، وكيف يبدأ بنا النهار .

سبع سنوات الثورة مضت . اكلني فيها القمل والجوع . لكن حين اتأملها الآن ، اجدها مثل لمحة البرق . كنت غافلا عن الزمن بالقنابل تتساقط ، والرفاق يموتون . وبأمر صدر ويجب تنفيذه .

حياة خطرة ، لاهثة . لا تسمح لك بفسحة من الوقت ، تتأمل فيها منطلق الطريق . تجري ورأسك الى فوق ، وعيناك الى امام .. مثل حصان يسبح النهر بعكس التيار .

من قبل .. لم اجد الوقت لاحكم على اي شيء . لم تكن لدي فكرة محدودة عن الزمان ، وعن الحياة نفسها . كنت اعيش بجسمي كله .

والآن .. تنتابني فترات تأمل ، واحس اني اعيش برأسي فقط . وفي احدى هذه الفترات ، ادخلوا علي ضامة ولم اشعر . فقلبت الطاولة وكسرت كؤوس الشاي .

تزوجت بعد الاستقلال مباشرة . لذلك ظن سي بلهادي أن زوجتي هي السبب . امرأة مسكينة ، لا ذنب لها . بل هي لا تستطيع أن تفعل ذنبا ولو حرصت .

كنت نائما ، وحلمت باني جائع . واني امضغ لحم رجل ، غابت عني ملامحه . ثم حلمت باني قابلت الرجل نفسه في مكتب الوزارة ، يدفع لي راتب التقاعد . واختلطت الصور بعد ذلك ـ كما يحدث في اكثر الاحلام ـ وتأكدت اني احلم فاستيقظت . واحست بي زوجتي ، ادخن سيكارة فوق سيكارة . فارادت البائسة ان تواسيني ، فقالت :

ـ ما لك ؟ .. خبزك مخبوز وماؤك في الكوز .

وكانت تقصد بذلك ، راتب المجاهد الذي اقبضه . ففقأت ـ وهي تتلمس بيدها العمياء ـ الدمل الذي اداريه . فلطمت صفحة وجهها بقفا يدي ، ولبست ثيابي ونزلت الى الشاطىء .

وقفت على صخرة اتأمل البحر .

الشمس لم تبزغ ، وبقايا الفجر ترسم ظلالا بلون الزئبق . وسفن الميناء لم تطفىء انوارها ، فعكست على الماء صفرة شاحبة . وطيور النورس تطفو نائمة على صفحة البحر ، وقد طوت اجنحتها .

السفن ساكنة . والبحارة يتثاءبون وقد اعتزموا الصعود الى السطح . هذه السفينة البيضاء ذات الطابقين ، سترفع مرساتها بعد ساعة ، وتستقبل الشمال نحو ميناء جديد . كذلك تفعل كل السفن البيضاء في موانىء البحر المتوسط .

وتلك السفينة السوداء ، التي التجأت الى رصيف البضائع ـ تبدو متعبة ، مهجورة ، كأنما قتل الطاعون بحارتها ، واكل الصدأ مرساتها على الرصيف . ارتمت لا تفعل شيئا . كيف ؟ ربما أبحرت في شبابها ، الى كل موانىء المتوسط . وآن لها في آخر ايامها ، ان تلقي المرساة وتستريح .

ارتفعت الشمس ولونت البحر بحمرة غامقة . وانتبهت طيور النورس ، فملأ الهواء زقاؤها . واهوت تدفع مناقيرها في رغوة الزبد . ونشر بعضها اجنحته على الصواري .

ذكرت اشراق الشمس علينا في الجبل . ننهض مثل النسور ، ننفض عن اكتافنا نوم الليل . نحمل السلاح ونفرق صامتين ، لا نتبادل الا كلمات . فنحن نعرف ما نريد . وما نريده لا تقوله الكلمات.

مع هذا الصباح ، ينهض ثوار فتيان ـ في فلسطين او بوليفيا او فيتنام ـ ينفضون نوم الليل عن اكتافهم . ويحملون السلاح ويتفرقون صامتين . ليس لديهم الوقت ليشربوا الشاي بالنعنع ، او يرقبوا احجار الضاحة تجتاز المربع الابيض الى الاسود .

انتشر البحارة على السطح ، وصرخت السفينة البيضاء تعلن وداعها الحزين .

ونظرت الى السفينة الراسية على رصيف البضائع ، وقد فضحت الشمس طلاءها المتقشر ـ فشعرت كأنها تتلهى عن السفر بمراقبة سمك السردين ، يحاصر هيكلها القديم .

قارنت بين السفينتين . فصدمتني فكرة كأنها شرارة نار في ليل دامس : لم لا استأنف حياة الرجال ؟ تلك الحياة المعلقة من اصبعها بخيط واهن ، اذا انقطع هوت الى ظلمة العدم ؟

سألني القاضي : ـ لماذا تطلب الطلاق ؟

ـ لا أتفاهم معها سيدي .. وارجو ان تنظر في سجل خدمتي .

ـ اسألك لاني نظرت في سجل خدمتك .. فماذا طرأ عليك بعد ذلك ؟

أردت أن أقول له : السفينة قتل بحارتها طاعون الضخامة ، وأكل مرساتها صدأ المقاهي . السفينة حاصرها سمك السردين برؤوسه اللامعة ، وعيونه الماكرة الصغيرة .

اردت ان اقول له : الثورة التي بدأناها لا تكتمل الا ...

ولكني ابتلعت ذلك كله . فما أريده لا تقوله الكلمات . واجبت :

ـ اصر على التفريق سيدي !

ـ وكيف تعيش زوجتك اذن ؟

ـ اتنازل لها عن راتب التقاعد .

وقد دهش ذلك الشيخ الاصلع ، ففضن جبينه ، وحدق الي من وراء نظارته .. لكنه حكم لي بالتفريق .

بعد اسبوع .. قدمت لمنظمة « الفتح » اوراقي وملأت الاستمارة :

الاسم : احمد بن رشيد .

مكن وتاريخ الولادة : عنابة ١٩٣٤ .

المهنة : ـــ .

اللقب المستعار : غاريبالدي .

وختمت باصابعي العشر .

**نديم خشفة**

# ماركسية القرن العشرين

**تاليف**
روجيه غارودي
**ترجمه نزيه الحكيم**

يقول روجيه غارودي ، مؤلف هذا الكتاب الخطير ، وهو احد ابرز فلاسفة الماركسية اليوم ، ما يلي :

**« ان الجزائري ذا الثقافة الاسلامية يستطيع أن يصل الى الاشتراكية العلمية بدءا من منطلقات اخرى غير سبل هيغل او ريكاردو او سان سيمون . فلقد كانت له هو الاخر اشتراكيته الطوباوية ممثلة في حرثه القرامطه ، وكان له ميراثه العقلي والجدلي ممثلا في ابن رشد ، وكان لديه مبشر بالمادية التاريخيه في شخص ابن خلدون . وهو على هذا التراث يستطيع أن يقيم اشتراكيته العلميه » .**

ويقول الاستاذ نزيه الحكيم مترجم الكتاب .

« ان هذا النص يأتي بالجواب الحاسم حلا للجدل اللفظي الذي احتدم طويلا بين مثقفينا التقدميين حول الاشتراكية التي تاخذ بها بعض اقطارنا ، وهل تكون « اشتراكيه عربية » ام « طريقا عربيا الى الاشتراكية » . والحق ان المؤلف قد طرح بمثاله هذا **قضية القومية العربية وعنصر ترات القيم الانسانية فيها كانه اثر مسلم به من وجهة النظر الماركسيه ...** وهذا يدل على استعداد لقبول اشتراكيه « علميه » غير ماركسية ، وهو تطور يعتبر كسبا ضخما حقا ، ويمكن ان يكون كسبا عربيا ، لاننا اذا وعيناه، ونحن في بداية مسعانا الجديد للخروج من القاع ، **فلن نجد انفسنا مكرهين على الاختيار الوحيد بين نار الاستغلال الراسمالي باسم حرية الفرد ، وبين صقيع الطغيان الفئوي باسم مصلحة الجماعة** . بل ستكون مسؤولية المثقفين العرب بالذات ـ في هذه المرحلة ، وتاسيسا محتوما على المنطلق القومي الوحدوي الذي لا بديل له من التجزئه ولا من الامية ـ ان يفتحوا ابواب الحاضر العربي ، الفاسد الهواء ، على الهواء النقي الذي يحمل بوادره عطاء الفكر العالمي غير المتزمت تحت شعار الحوار » .

ونعتقد ان هذا يكفي للاشارة الى اهمية كتاب « ماركسية القرن العشرين » الذي نقدمه اليوم ، والذي اثار ضجة كبيرة لدى صدوره منذ اشهر قليلة بين المفكرين الماركسيين وغير الماركسيين ، اذ يعتبر خطوة رائدة هامة على طريق الحوار المفتوح ، طريق تحرير البشر من « الايديولوجيات » الشمولية التي تزعم تفسير الانسان والطبيعة تفسيرا احاديا نهائيا يفرض غيبية جديده باسم العلم .

وسيقرا المثقف العربي في الكتاب فصولا تحليلية عميقة تتناول موقف الماركسية « الجديدة » من مبدأ المعتقدية ، والاخلاق ، والدين ، والفن . وسيجد المثقف العربي فيه، بلا شك، مادة غنية للدرس والتفكير.

الثمن ٤٥٠ ق.ل

**صدر حديثا**